

يقف المسلم أمام مفترق طرق، أي الطرق يسلك ليحفظ دينه؟
ولا شك أن عليه أن يسلك الطريق التي يحصل بها تحقيق المتابعة لما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه. وهو السير على طريقة الصحابة في اتباعهم للرسول ﷺ والأخذ بالأثر. قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَنْ يُتَابِعِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَدَأَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ عِبْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ قَوْلَهُ مَا قَوْلَ رَسُولِهِ وَرَسُولِهِ وَمَا تَوَسَّلَ بِهِمْ ﴾ [النساء: ١١٥].
وسبيل المؤمنين أول ما يصدق على ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم فالخروج عن طريقهم اتباع لغير سبيل المؤمنين.

وقال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»^(١).
قال أبو حاتم بن حبان رحمه الله: «في قوله ﷺ: «فعلينا بسنتي» عند ذكره الاختلاف الذي يكون في أمته: بيان واضح أن من واطب على السنن قال بها، ولم يعرج على غيرها من الآراء، من الفرق الناجية في القيامة، جعلنا الله منهم بمنه». ثم بوب «في ذكر الإخبار عما يجب على المرء من لزوم سنن المصطفى ﷺ وحفظه نفسه عن كل من يأبأها من أهل البدع وإن حسنوا ذلك في عينه وزينوه» اهـ^(٢).

عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من بخلدهم حتى يأتي أمر الله»^(٣).

قال أبو عيسى الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح، سمعت محمد بن إسماعيل يقول سمعت علي بن المديني يقول، وذكر هذا الحديث عن النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق». فقال علي: هم أهل الحديث»^(٤).

(١) حديث حسن عن العرياض بن سارية رحمه الله: أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٢٦)، والدارمي في المقدمة، باب اتباع السنة، والترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، حديث رقم (٢٦٧٦)، وأبو داود في كتاب السنة، باب في لزوم السنة، حديث رقم (٤٦٠٧)، وابن ماجه في المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين، حديث رقم (٤٢٤٥). والحديث قال الترمذي عقبه: «هذا حديث حسن صحيح وقد روى ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي عن العرياض بن سارية عن النبي ﷺ نحوه هذا حدثنا بذلك الحسن بن علي الخلال وغير واحد قالوا حدثنا أبو عاصم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي عن العرياض بن سارية عن النبي ﷺ نحوه والعرياض بن سارية يكتفى أبا نجيح وقد روي هذا الحديث عن جحر بن جحر عن عرياض بن سارية عن النبي ﷺ نحوه» اهـ، وصححه العلامة الألباني في إرواء الغليل (١٠٧/٨)، حديث رقم (٢٤٥٥).

(٢) صحيح ابن حبان (١/ ١٨٠).

(٣) حديث متواتر، انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٦)، ونظم المتناثر (ص ٩٣).

(٤) سنن الترمذي: كتاب الفتن، باب ما جاء في الأئمة المضلين، تحت الحديث رقم (٢٢٢٩). وانظر: شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي رحمه الله (ص ٢٤-٢٧)، فقد نقل كلاماً للسلف في بيان أن أصحاب الحديث هم الطائفة الناجية والفرقة المنصورة، كما عقد ابن مفلح الحنبلي رحمه الله في كتابه الآداب الشرعية (١/ ٢٣٠) فصلاً في أن أهل الحديث هم الطائفة الناجية والفرقة المنصورة.

وأفاد في نقل كلام أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين في تقرير هذا المعنى الدكتور ربيع بن هادي المدخلي - جزاه الله خيراً - في كتابه «أهل الحديث هم الطائفة المنصورة»، انظر منه (ص ١٧٧ - ٢٣٢).

وعن معاوية بن أبي سفيان أنه قام فينا فقال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ثمان وسبعون في النار وواحدة في الجنة، وهي الجماعة»^(١).

وأخرج الترمذي عن عبد الله بن عمر قال ﷺ: «اليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، وإن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا واحدة - إلا ملة واحدة - قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي».

وهذا ما عليه أهل الحديث، الذين هم أهل السنة والجماعة.

فهذه أسماءهم: أهل الحديث، أهل السنة والجماعة، السلفيون، أتباع السلف.

أصول السلفية

وهذا الطريق يقوم على ثلاثة أصول وهي:

الأصل الأول: الإخلاص لله سبحانه وتعالى والمتابعة لرسوله ﷺ.

الأصل الثاني: لزوم الجماعة والسمع والطاعة.

الأصل الثالث: الحذر من البدع والمبتدعين.

وقد دل على هذه الأصول أدلة من ذلك:

عَنْ الْعُرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ: «وَعَطْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعَيْونُ وَوَجَلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودِعٌ فَمَاذَا تَعَهَّدُ الْبَنَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنَّ عَبْدَ حَبِشِيِّ؛

فَأِنَّهُ مِنْ يَعْشُ مِنْكُمْ بَرِيٌّ اخْتِلَافًا كَثِيرًا.

وَيَأْتِكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا صَلَاةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُوا عَلَيْهَا بِالْإِجْمَاعِ»^(٢).

عَنْ سَهْبِيلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا: يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا، وَأَنْ تَتَّصِحُوا مِنْ وِلَاةِ اللَّهِ أَمْرَكُمْ؛ وَيَسْخَطُ لَكُمْ قِيلٌ وَقَالَ وَإِضَاعَةُ الْمَالِ وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ»^(٣).

وهذه الثلاث قد نص عليها في حديث عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نضر الله امرأ سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره، فإنه رب حامل فقه ليس بفقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث خصال لا يغل عليهن قلب مسلم أبداً: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة

(١) حديث صحيح لغيره: وأشار بعضهم إلى احتمال تواتره، أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٠٢)، وأبو داود في كتاب السنة، باب شرح السنة، حديث رقم (٤٥٩٧)، والأجري في الشريعة (الطبعة المحققة) (١/ ١٣٢)، تحت رقم (٣١). وصحح إسناده مُحقق جامع الأصول (١٠/ ٣٢)، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، حديث رقم (٢٠٤)، وذكر جملة من الأحاديث تشهد له، وانظر: نظم المتناثر (ص ٣٢-٣٤).

(٢) حديث ثابت سبق تخريجه.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب الجامع، باب ما جاء في إضاعة المال، وذوي الوجهن، حديث رقم (١٨٦٣)، وأحمد في المسند مثله. وأخرجه مسلم في كتاب الأفضية باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، حديث رقم (١٧١٥)، دون قوله: «وَأَنْ تَتَّصِحُوا مِنْ وِلَاةِ اللَّهِ أَمْرَكُمْ».

الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط بهم من ورائهم...» الحديث وجاء هذا الحديث بأسانيد بعضها صحيحة، وبعضها حسنة وبعضها معلولة، عن جماعة من الصحابة، فهو متواتر.^(١)

وهذه الخصال الثلاث قد جمعت ما يقوم به دين الناس ودنياهم.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب: «لم يقع خلل في دين الناس ودنياهم إلا بسبب الإخلال بهذه الثلاث أو بعضها» اهـ^(٢).

ولا شك أن من المتابعة للشرع منابذة البدع وأهلها!

لا أقسام ولا أنواع للسلفية

السلفية هي السير على الطريق الذي كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، وهي في حقيقتها منهج حياة يسير عليه المسلم، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

فلا تنحصر السلفية في طلب العلم، فلا يصح أن يقال: سلفية علمية.

ولا تنحصر السلفية في الجهاد في سبيل الله، فلا يصح أن يقال: سلفية جهادية.

ولا يقال: سلفية تقليدية، لأن السلفية هي السير على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، فهل يصح أن يقال عنه سلفية تقليدية؟!^(١)

ولا تنسب السلفية إلى غير ما كان عليه السلف الصالح من متابعة الرسول ﷺ، فليست السلفية سلفية فلان من العلماء، أو سلفية فلان من الدعاة؛ إذ السلفية هي الإسلام الصافي، والمورد الكافي، لمن يريد ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، وهو الجماعة.

والسلفية تكفر من حكم الله تعالى ورسوله ﷺ بكفره.

وتجاهد من أمر الله تعالى ورسوله ﷺ بجهاده.

وتتولى من أمر الله تعالى ورسوله ﷺ بمولاته؛ فمن خرج عن ذلك خرج عن السلفية؛

فمن كفر من لم يكفره الله ورسوله فقد خرج عن السلفية.

ومن قاتل من لم يأمر الله ورسوله بقتاله خرج عن السلفية.

ومن تولى من لم يأمر الله ورسوله بمولاته فقد خرج عن السلفية.

فكيف تنسب السلفية إلى هؤلاء الخارجين عنها؟!^(٢)

ليس كل من انتسب إلى السلفية سلفي

ومما يجدر التنبيه عليه هنا؛ أنه ليس كل من تسمى بالسلفية أو اعترى إلى منهج أهل السنة والجماعة، أو انتسب إلى أهل الحديث كان منهم، حتى ينظر في طريقته واتباعه، ويعرض أمره وحاله وقوله على الكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة وتابعيه بإحسان فإن وافقه فهو منهم وإن خالفه فليس منهم، ويبعد ويقرب من الصراط المستقيم بحسب كثرة موافقته وكثرة مخالفته!

قال أبو المظفر السمعاني رحمه الله: «إنا أمرنا بالاتباع ونُذبتنا إليه، ونُهبنا عن الابتداع وُجرتنا عنه، وشعار أهل السنة: اتباعهم للسلف الصالح، وتركهم كل ما هو مبتدع مُحدث» اهـ^(٣).

(١) ينظر: رسالة، «دراسة حديث: نضر الله امرأ» للشيخ عبد المحسن العباد.

(٢) مسائل الجاهلية، ضمن مجموعة التوحيد النجدية، ط السلفية، القاهرة، ٣٧٥هـ (ص ٢٣٦ - ٢٣٧).

(٣) الانتصار لأهل الحديث لأبي المظفر السمعاني بواسطة صون المنطق والكلام (ص ١٥٨).

السلفية

سَفِينَةُ نُوحٍ ﷺ مِنْ رَبِّهَا نَجَا

لفضيلة الشيخ الدكتور:

محمد بن عمر بازمول

عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين قسم الكتاب والسنة

راجعها الشيخ وأذن بنشرها

دار الإمام مالك
DAR AL-IMAM MALIK

دار الإمام مالك للحديث بتونس

وهكذا إذا تدبر المؤمن سائر مقالات الفلاسفة وغيرهم من الأمم التي فيها ضلال وكفر وجد القرآن والسنة كاشفان لأحوالهم، مبينان لحقهم، مميزان بين حق ذلك وباطله. والصحابة كانوا أعلم الخلق بذلك، كما كانوا أقوم الخلق بجهد الكفار والمنافقين، كما قال فيهم عبد الله بن مسعود: «من كان منكم مُستتاً فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحة نبه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم» اهـ^(١).

ضوابط الإصلاح في السلفية

ومنهج الإصلاح عند أتباع السلف الصالح: أهل السنة والجماعة مضبوط بخمسة ضوابط وهي التالية:

الضابط الأول: أن موضوع الإصلاح الأول والأساس هو عبادة الله وتوحيده.

الضابط الثاني: الإصلاح يبدأ من الفرد، لا من المجتمع، ولا من الحاكم، ولا من غيره، إنما كل إنسان يبدأ بنفسه، فيصلحها وأدناه فأذناه.

الضابط الثالث: العلم قبل القول والعمل.

الضابط الرابع: أن يكون علمه على منهج السلف الصالح.

الضابط الخامس: أن يتحلى في دعوته بصفات، بينها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار السلفية.

الخاتمة نسأل الله حسنها

عن أبي العالية رضي الله عنه قال: «تعلموا الإسلام؛ فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه. وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام. ولا تحرفوا الصراط يميناً ولا شمالاً. وعليكم بسنة نبيكم صلى الله عليه وآله والذي كان عليه أصحابه - وعند الأجرى: «والذي عليها أصحابه» - قبل أن يقتلوا صاحبهم، ومن قبل أن يفعلوا الذي فعلوا؛ فإننا قد قرأنا القرآن من قبل أن يقتلوا صاحبهم ومن قبل أن يفعلوا الذي فعلوا بخمس عشرة سنة، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء»^(٢).

قال الشافعي رضي الله عنه: «من تعلم القرآن؛ عظمت قيمته. ومن تكلم في الفقه؛ نما قدره. ومن كتب الحديث؛ قويت حجته. ومن نظر في الحساب؛ جزل رأيه. ومن لم يرض نفسه؛ لم ينفعه علمه»^(٣).

وقال ابن حبان رضي الله عنه: «إن في لزوم سنته صلى الله عليه وآله تمام السلامة، وجماع الكرامة؛ لا تطفأ سرجه، ولا تدحض حججه. من لزمها عصم، ومن خالفها يذم؛ إذ هي الحصن الحصين، والركن الركين، الذي بان فضله، ومنت حبله. من تمسك به ساد، ومن رام خلافه باد، فالمتعلقون به أهل السعادة في الآجل، والمغبوطون بين الأنام في العاجل»^(٤).

والحمد لله رب العالمين، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَمَسْكُمُ عَلَيْ التَّزْيِين﴾ [الصفات: ١٨٠ - ١٨١].

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ١٣٧).

(٢) أثر صحيح الإسناد: أخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص ٣٩)، وصحح إسناده مُحقق مفتاح الجنة - وفقه الله - (ص ١٣٨)، وأخرجه الأجرى في الشريعة (١/ ١٢٤)، تحت رقم ١٩، وصحح إسناده مُحققه، وأخرجه ابن بطّة في الإبانة (١/ ٣٣٨، ٢٩٩، تحت رقم ١٣٦، ٢٠٢ بنحوه مُختصراً).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٤).

(٤) صحيح ابن حبان (الإحسان) (١/ ٨٦).

سمات السلفية

للسلفية سمات ومعالم يُعرف بها السلفي الحقيقي ممن يدعي ذلك، ومن هذه السمات:

السمة الأولى: محل الولاء والبراء عندهم اتباع الرسول صلى الله عليه وآله؛

السمة الثانية: شعارهم الاتباع.

السمة الثالثة: يتهجون الوسطية في جميع شأنهم.

السمة الرابعة: أنهم أهل ائتلاف واتفاق، وثبات واستقرار على الحق.

السمة الخامسة: أنهم يشتغلون بإقامة الدين بطلب العلم الشرعي وتطبيقه.

فمن خرج عن هذه السمات خرج عن السلفية!

قال قوام السنة الأصبهاني رضي الله عنه: «وينبغي للمرء أن يحذر مُحدثات الأمور، فإن كل مُحدثة بدعة، والسنة إنما هي التصديق لأخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وترك معارضتها به: كيف، ولِمَ.

والكلام والخصومات في الدين والجدال؛ مُحدث، وهو يوقع الشك في القلوب، ويمنع من معرفة الحق والصواب.

وليس العلم بكثرة الرواية وإنما هو الاتباع والاستعمال؛ يقتدي بالصحابة والتابعين وإن كان قليل العلم، ومن خالف الصحابة والتابعين فهو ضال وإن كان كثير العلم» اهـ^(١).

وقال: «وذلك أنه تبين للناس أمر دينهم فعلينا الاتباع؛ لأن الدين إنما جاء من قِبَل الله تعالى، لم يوضع على عقول الرجال وآرائهم، قد بين الرسول صلى الله عليه وآله السنة لأمته وأوصحها لأصحابه، فمن خالف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في شيء من الدين؛ فقد ضل» اهـ^(٢).

فلا تنظيم لديهم ولا رئيس ولا مرشد ولا متبوع غير الرسول صلى الله عليه وآله.

وهم تبع للعلماء المتبعين للكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

ليس لديهم تنظيم سرى، ولا بيعة داخلية. ولا لقاءات خفيه. ولا ترتيب باطني أو نحوه. ولا يخفون شيئاً عن ولاة الأمر بله عن عامة الناس! ول لديهم تنظيمًا هرميًا. ولا خلايا. ولا أجنحة؛ بل هم مع ولاة الأمر وعموم المسلمين، على ما جاء في شرع الله تعالى، بالنصيحة ظاهراً وباطناً! وقدوتهم في ذلك ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم.

قال ابن تيمية رضي الله عنه: «كان أئمة المسلمين مثل مالك وحمام بن زيد والثوري ونحوهم إنما تكلموا بما جاءت به الرسالة وفيه الهدى والشفاء، فمن لم يكن له علم بطريق المسلمين يعترض عنه بما عند هؤلاء، وهذا سبب ظهور البدع في كل أمة، وهو خفاء سنن المرسلين فيهم، وبذلك يقع الهلاك، ولهذا كانوا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة».

قال مالك رضي الله عنه: «السنة مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك». وهذا حق؛ فإن سفينة نوح إنما ركبها من صدق المرسلين واتباعهم وأن من لم يركبها فقد كذب المرسلين.

واتباع السنة هو اتباع الرسالة التي جاءت من عند الله؛ فتابعها بمنزلة من ركب مع نوح السفينة باطناً وظاهراً. والمتخلف عن اتباع الرسالة بمنزلة المتخلف عن اتباع نوح صلى الله عليه وآله وركوب السفينة معه.

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٤٣٧ - ٤٣٨).

(٢) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٤٤٠).